الندوة العالمية للشباب الإسلامي
المنطقة الشرقية ـ مكتب الأحساء
مشروع حقيبة الحاج
(٢)

تشويقُ الأنام لحج بيت الله الحرام

لفضيلة الشيخ
محمد بن عبدالله زعوري

ⓒ الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالأحساء، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زعوري، محمد بن عبد الله

تشويق الأنام لحج بيت الله الحرام.. الأحساء.

٩١ ص، ١٧ سم. (مشروع حقيبة الحاج، ٢)

ردمك : ١-٠١-٨٥٦-٩٩٦٠

١ـ الحج ٢ـ العمرة أـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٢٥٢,٥ ٢١/٤٦٣٢

رقم الايداع: ٢١/٤٦٣٢

ردمك: ١-٠١-٨٥٦-٩٩٦٠

كلمـة النـدوة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـ
وخاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد /
استمراراً للدور الريادي الذي تقوم به الندوة العالمية للشبا
الإسلامي منذ ثلاثاً وثلاثون سنة في نشر العلم الشرعي بـ
الشباب المسلم، وبث الوعي الإسلامي في صفوفهم من خلا
الدورات الشرعية والدروس التعليمية والمحاضرات التوجيهيـ
والقوافل الدعوية يسرها أن تقدم للمسلمين عموماً ولحجاج بيـ
الله الحرام خصوصاً هذا الإصدار ضمن مشروع **حقيبة الحـ**
الذي تتبناه الندوة، والندوة إذ تقدمه للمسلمين ترجو الله عز وجـ
أن ينفع به حجاج بيت الله الحرام ويساعدهم على تأدية فريضـ
الحج بطريقة صحيحة موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم
سائلين الله عز وجل أن ينفع به وأن يجزي المشايخ المشاركين فـ
خير الجزاء ، وأن يتقبل من الجميع عملهم إنه ولي ذلـ
والقادر عليه.

الندوة العالمية للشباب الإسلا

مكتب الأحساء

المقدمــة

الحمد لله الذي يسّر سبل الوصول إليه، ومنح عباد
شرف المثول بين يديه، فأوجب عليهم قصد بيته المعظم:
﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ [1]
والصلاة والسلام على نبينا القائل: "أيها الناس ق
فرض الله عليكم الحج فحجوا" [2]
صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، ومن تبع هد
واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد.
فإن الحج ركن عظيم من أركان هذا الدين الشام
نص عليه النبي ﷺ في قوله: "بني الإسلام على خمس
شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإق
الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان" [3] .

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٩٧.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٢٨٤٠.

وللحج معان وفضائل يحسن الوقوف عندها ، ستشعار عظمتها ، فبمعرفتها نفارق في الأداء ما اعتاد ليه بعض الناس وألفوه من أداء أفعال دون النظر في دلولها ومقصودها ، أو استشعار عظيم أجرها ، وعلو ـزلتها ، ليسمو المرء عندها ويتيه فرحاً بما حباه الله من ضله ، ويقدر عظم النعمة التي أنعم الله بها عليه .. وخصه ون خلقه بها ، فكان من الملبين لنداء ربه ، والمتبعين فعال نبيه ﷺ .

وهذا البحث افتتحته بمبدأ الحج ، وربطته بأول ـرة استوطنت بيت الله المعظم.

ويذكر بعد إذ ، فضائل الحج عموماً. ثم يخص كل ـك بذكر فضله ، بما ثبت وصح من أثر ، مع ربط ـضائل بمعان وإشارات مهمة عن ذلك النسك.

أسميته: تشويق الأنام لحج بيت الله الحرام ✿.

اقتبست العنوان من رسالة في أحكام الحج، لمرعي الحنبلي، مخطوطة لم تطبع بعد لها وان نفسه.

أسـأل اللّه ان يكـون خالصـاً لوجهـه الكريـم، وأ
أكون قد قاربت الوصول للمرام المعقود لـه، نافعاً لك
من طالعه.

المؤلـف

مبدأ الحج

عند سماعنا لكلمة الحج يسبح الفكر في بحـ
الذكريات، يسبح هنا وهناك متلمسا الشاطئ الآمن الذ
يوصله بغيته، ليرسو عنده، ويبدأ بالتجوال هناك في تلـ
الرياض النضرة، ليجني من أزهارها، ورياحينها ما يعبـ
شذاها حاضرنا.

ويقف عند السيرة العطرة لتلك الأسرة المسلمـ
القابعة في أعماق التاريخ، والتي ما برح طيفها أمام أعينـ
متمثلا في كل موضع من مناسك الحج، فيقطف لنـ
الفكر من زهور ذكريات الأسرة النبوية الكريمة، مـ
نعيش مع طيب شذاها، فتحيا به القلوب والنفوس
فالنفوس تهفو إلى قدوات تحيا بها، وتعيش سائرة علـ
دربها، وتطرب لسماع ذكرها..

والحج يعيد لنا تلك الذكريات، وتلك القدوات،
لك الأسرة التي تمثلت بالإسلام خير مثال، واستسلمت
ه حق الاستسلام.

فهذا الأب مستسلم لأمر ربه بترك ابنه وزوجه بواد
ير ذي زرع..

والأم أسلمت الأمر لبارئها، ورضيت بحكمه وقضائه.

والابن قد سلّم أمره لخالقه، ورضخ لحكمه فسلم
نبته رخيصة لربه ..

إنهم حقاً قداوت، تستحق أن نمعن النظر في
يرتهم، ونتلمس خطواتهم خطوة خطوة، ونتعرف لم
تبط ذكرهم بالحج؟

لنشهد قدومهم المبارك لذلك الوادي المبارك...

إنه لمنظر مهيب يبعث في النفس الرهبة والرعب معاً،
لك الوادي العميق وقد حفته جبال شاهقة، تحد من
للاق بصرك، وتزيد الظلام ظلمة، وتزيد الأجواء رعباً ..
صفير الرياح يتخلل من جنباتها يصم الآذان ...

في هذه الأثناء، ترى من بُعد طيف ركب يتهادى
وهو الآن يحط رحله، تترجل إمرأة وقد ضمت إلى صدره
طفلاً صغيراً تتلفت قد أرهبها ما حولها، وصفير الرياح ق
أفزعتها .. يضع سقاء ماء، وجراب تمر، ويقفل راجعاً .

تنظر المرأة: ماذا تفعل يا إبراهيم (عليه السلا
- صوت المرأة من داخلها - "تراه يبحث لنا عن مكان آمن
ربما يبحث عن نار نستدفئ بها!! إنه يبتعد..

تفكر هاجر بمنطق البشر، ليس هذا بالعدل،
يفعل هذا من في قلبه ذرة رحمة.

وتحاول أن تبحث عن إجابة تشفي تساؤلاتها.. لك
دون جدوى، فأخذ صدى صوتها يدوي، ويتردد في الأجوا

إلى من تتركنا؟ وهو سائر لا يجيب، تضم وليدهـ
وتتلفت ثم تهرول - ربما لم يسمعها - تصل إليه وهي تلتقـ
أنفاسها ، .. أمسكت بطرف ثوبه، وبهدوء...

إلى من تتركنا؟ . . . وهو لا يجيب.

وهنا ألهمها الله الجواب. . لعله أمر من عند الله. .
ـم، الآن فكرت بمنطق الإيمان، فما كان لخليل
رحمن أن يفعل ما يخالف أمر ربه.

فقالت: آلله أمرك بهذا؟ . . فهز الشيخ رأسه: نعم.

ولم تظهر الكلمات على شفتيه خوفاً من أن يظهر
ـر حزن أو حشرجة ألم في صوته، فيخالف بذلك منزلة
خلة التي اصطفاه الله لها.

عندها ظهر الاستسلام الحق من خلال إجابة المرأة
ـالت: "إذاً لن يضيعنا"

أي إيمان هذا الذي يسلّم المرء نفسه للمجهول لا
ـدري ما يفعل به. . أي إيمان هذا أن يتجرد المرء من ذاته
ولده في سبيل امتثال الأمر، إيمان تذعن معه المرأة - التي
ـهد عنها ضعفها وشدة عاطفتها وخوفها على وليدها -
ـحكم الرباني، فلا رأي بعد إذن مهما يكن في ذلك
لأمر من إضرار بها وبوليدها فيما يظهر للبشر . .

"إذاً لـن يضيعنـا" .. كلمـة خـالدة عـبر القـرون
يتعاقبـها جيـل بعـد جيـل. . لكـل مـن وثـق في أمـر ال
واستسلم لخالقه حق الاستسلام . .

قالها إبراهيم عندما ألقي في النار. . وابنه إسماعي
من بعده لما أسلم رقبته رخيصةً لربه. . عندما قال له أبو
﴿إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ فأسلم طواعية دون تردد
فقد رضع ذلك من ثدي أمه التي وقفت من قبل ذلك الموقف
الإيماني.

فذلك الشموخ الإيماني المتجسد في موقف هاج
يجدده ابنها الآن فيقول بكل ثقة: ﴿ يا أبت افعل ما تؤم
ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ .. فما تردد إبراهي
لحظة عن تنفيذ أمر ربه، فجاءه من ربه: ﴿ وناديناه أ
ياإبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسني
إن هذا لهو البلاء المبين﴾[1] .

(١) سورة الصافات: الآيات ١٠٤- ١٠٦.

"إذاً لن يضيعنا" . .

قالها موسى عندما أدركه فرعون وجنوده.

وقالها محمد ﷺ في الغار مع صاحبه.

يتجلى لنا في تلك المواقف نموذج الاستسلام الحق، ه الحق.

وإن من جملة الحكم التي تظهر جلية من فريضة حج، تذكير المسلمين بالمفهوم الحق للإسلام الحق، فيه المظهر العملي للإسلام، باستسلامك لخالقك، وعند طلاقك ملبيا نداء خالقك، لا يثنيك ولد، ولا زوج ولا ال، ولا جاه، . . .

ولا تستثقل ما يبدو لك من جهد وعمل في سبيل أداء حج، فتجدك تتنقل من منسك لآخر دون أدنى اعتراض، و لم تظهر لك الحكمة في أدائه.

فربما يتساءل المرء: ما الداعي للبروز لأرض فضاء يث لا ماء جاري أو شجر مثمر أو هواء مثمر أو هواء نعش؟!.

فيعلم أن ذلك ما شرع إلا لإظهار محض عبوديته
لخالقه، وصدق تسليمه له.

وظهر ذلك جلياً في أعمال الأسرة المباركة التي ربط
الله ذكرها بمناسك الحج وبذكر بيته المعظم في أكثر
من موضع من القرآن الكريم.

فقال سبحانه في محكم التنزيل وهو يقص علينا نبأ
قدوم إبراهيم عليه السلام - مع ابنه وزوجه بواد غير ذي زرع
- ودعائه لهما: ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون ﴾[1]

ثم أكرمه الله وأكرم ذريته ببناء بيته وتهيئته
للطائفين والعاكفين، والركع السجود، وعظَّم مقام
إبراهيم بجعله مصلى.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من
ـام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن
هرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾[٢] .

وقال سبحانه: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
سماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾[٣]

ثم أعلى سبحانه وتعالى من شأن خليله بأن خصه
ـداء الناس أجمعين لتلبية نداء رب العالمين للحج لبيته
عظيم: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي
ـيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود.
أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين
ن كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله
في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا

---

٢) سورة البقرة: الآية١٢٥.

٣) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفو
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾[١]

وبذلك قد خلد الله ذكر هذه الأسرة في القرآن
الكريم، وكذلك عند أدائنا لبعض مناسك الحج والتي
كان منشؤها ومبتدؤها نابعا من بعض أعمال تلك الأسرة

فعند تأديتنا لأنساك الحج فإنا نستجيب لأمر الله
لنا، ونتذكر معه تلك الأسرة المباركة...

وسنتناول بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر كل
منسك على حدة.

ولكن يحسن ابتداءا ذكر فضائل الحج عموما.

---

(١) سورة الحج: الآيات ٢٦-٢٩.

فضائل الحج

عظم الله من شأنه وأعلى من منزلته، بأن فرض
على عباده، وجعل التارك له رغبة عنه أو جحوداً به
عداد المشركين.

قال تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطا
إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾(١)

وهو أحد أركان هذا الدين الشامخ الذي لا يسم
المسلم مسلماً إلا أن يأتي به مع استطاعته عليه.

وقد جاءت كثير من الأحاديث النبوية تشير إلى عظ
مكانته وجزيل فضله وثوابه، تنوعت واختلفت في عر
ألوان الأجر والترغيب في إقامة الحج، بين كونه من أفض
الأعمال، إلى تكفيره للذنوب، وإيصاله لجنّة الخلود
ويصل بك في الأجر إلى درجة الجهاد في سبيل الله.

---

(١) سورة آل عمران: الآية٩٧.

وقد أمر النبي ﷺ بالمسارعة والتعجيل لإقامته كما
ال عليه الصلاة والسلام: "عجلوا الخروج إلى مكة فإن
حدكم لا يدري ما يعرض له من مرض أو حاجة"[١].

وهو إذ يحث على المسارعة لأدائه يثني باللائمة
التشديد على من تقاعس وتكاسل عنه، فقال ﷺ: "إن
لله تعالى يقول: إن عبدا أصححت له جسمه، ووسعت
ليه معيشته، تمضي عليه خمس أعوام لا يفد لي
حروم"[٢].

وما كان هذا التأنيب إلا لمحبة الله الخير لعباده،
ن يقدموا على أفضل الأعمال كما قال عليه الصلاة
السلام عندما سئل: "أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان
الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم
اذا؟ قال: حج مبرور"[٣].

) صحيح الجامع الصغير: ٣٩٩.

) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٩٩٢.

) متفق عليه.

فحق لـه أن يضـم مـع خـير الأعمـال وأفضلـها ، لأنـ
رائدك وسائقك إلى الجنة كما قال المصطفى ﷺ : "الحـ
المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"[1].

وليس بغريب أن يصل بك إلى الجنـة فهو سيسـلك بـ
طرقا متعددة متكاثرة ليوصلك إليها ، فبأدائك الحج تلـ
طريق المغفرة: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيـو
ولدته أمه"[2].

فبعد تطهرك من الذنوب أصبحت مؤهلا لأن تكو
من وفد الله: "الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوا أجابهم
وإن استغفروا غفر لهم"[3]، وحق على الله أن يكرم وفد
فكافأهم دخولهم جنته.

وطريق الجهاد الذي يوصلك للجنة عن كثب، جعل
الرسول ﷺ مقارنا للحج المبرور ، فهناك من لا يقوى عل

---

(١) صحيح الجامع الصغير: ٣١٧.

(٢) متفق عليه.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٨٢٠.

مل السلاح وخوض معارك الكفاح لضعف به أو عذر
رعي ألمّ به، سهل الله له صعود منازل المجاهدين ونيل
رهم بفعله الحج لقوله ﷺ: "الحج جهاد كل ضعيف"[(١)].

وقال عليه السلام: "هلم إلى جهاد لا شوكة فيه:
حج"[(٢)]، بل هو أحسن الجهاد لقوله: "لكن أحسن الجهاد
جمله حج مبرور"[(٣)].

ففيه مقاومة لرغبات النفس الدنية والترفع بها عن
فاسف الأمور بركونها للفانية، فترفع بها وتسمو بتلبية
داء ربها.

وإن خرجت للحج فلا تخش هلاكاً أو فقراً، فقد
كفل الله لك بحفظك وسلامتك، فقال ﷺ: "ثلاثة في

---

١) صحيح الجامع الصغير: ٣١٧١.

١) صحيح الجامع الصغير: ٧٠٤٤.

٢) صحيح الجامع الصغير: ٧٠٤٤.

ضمان الله رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى ورجل خرج حاجاً"[1].

فأنت في ضمان الله وحفظه فلا خوف عليك من الهلكة، بل وأكثر من ذلك ضمن لك الغنى ونفي الفقر عنك، فقال ﷺ:"تابعو بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد"[2].

ولكل عمل من أعمال الحج فضل وأجر ومغزى نقف عند كل منها نستشف العبر والفضائل.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٥٩٨.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٢٨٩٩.

أعمال الحج فضائل ومقاصد

١. الخروج من الأوطان.

٢. الإحرام من الميقات

٣. التلبية.

٤. دخول الحرم.

٥. رؤية البيت.

٦. استلام الحجر.

٧. الطواف.

٨. السعي.

٩. الوقوف بعرفة.

١٠. النفرة إلى مزدلفة

١١. رمي الجمار.

١٢. النحر.

١٣. الحلق والتقصير.

١٤. طواف الإفاضة.

١٥. أيام التشريق

١٦. طواف الوداع

١٧. الحج والجهاد.

الخروج من الأوطان

إذا عزمت على الخروج لبيت الله الحرام فإن أ
عمل تقوم به خروجك من وطنك ومباينتك لأهلك وما
وولدك، تاركاً الدنيا خلف ظهرك يحدوك الشوق للق
ربك، وحاديك في ذلك قول الشاعر:

وسرنا نشق البيد للبلد الذي
بجهد وشقٍ للنفوس بلغن
رجالاً وركباناً على كُلّ ضامر
ومن كُلّ ذي فجٍّ عميق أتين
نخوض إليه البر والبحر والدجى
ولا قاطعٌ إلا وعنهُ قطعن
ونطوي الفلا من شدَّة الشوق للقيا
فتمسي الفلا تحكي سجلاً قطعن
ولا صدنا عن قصدنا فقْدُ أهلنا
ولا هجرُ جار أو حبيب ألفن

رفنا الذي نبغى ونطلب فضله

فهان علينا كل شيء بذلناه

ن عرف المطلوب هانت شدائدٌ

عليه ويهوى كل مافيه يلقاه[1]

وتستشعر عند خروجك أنك قد خرجت من الدنيا وت وفارقت الأهل والأحبة.

وأنت تخرج اليوم بقصدك وإرادتك وطواعيتك، خرج في ذلك اليوم مجبوراً رغماً عن أنفك.

فارحم نفسك أن تخرج يوم تخرج وأنت في أحسن ل.

وأنت إن خرجت لأداء الحج فقد حُدِّد لك وقت وأجل تتجاوزه: ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾[2]

وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام، للصنعاني: ١٦.

سورة البقرة: الآية ١٩٧.

وتذكر في مسيرك ذلك الأجر بكل خطوة تخطوها
"ما ترفع إبل الحاج رجلا ولا تضع يدا إلا كتب الله تعالى
له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة"[1].
أجور لا تحصى قد حباك الله بها، فكن أهلا لذلا
وتأهب لحسن لقائه.
فمقصودك الأسمى وهدفك الأعظم نيل رضـ
والحلول تحت ظلال رحمته ولسان حالك يقول:

ووجهك نبغي أنت للقلب قبلة
إذا ماحججنا أنت للحج رمنا
فما البيت ما الأركان ما الحجر ما الصفا
وما زمزم أنت الذي قصدنا
وأنت منانا أنت غاية سؤلنا
وأنت الذي دنيا وأخرى أردناه
إليك شددنا الرحل نخترق الفلا
فكم سد سد في سواد خرقناه

(١) صحيح الجامع الصغير: ٥٥٩٦.

كـذلك مـا زلنـا نحـاول سـيرنـا
نهاراً وليلاً عِيسنا ما أرحنـاه[٢]

(٢) مثير الغرام: ٢٠.

الإحرام من الميقات

ها أنت الآن تحط عنك ما تبقى من أثقال الدنيا بخا
ثيابك وارتداء ملابس الإحرام عند وصولك الميقات، وتنو
الدخول في النسك.

تذكر عند لبسك لهذه الملابس، ذلك الكفن الذ
تلف فيه، نعم أنت الآن في عداد الموتى، قد خرجت م
الدنيا وفارقت الأحبة، ولبست هذا الثوب، ولا تملك
تتحكم بنفسك بأي مباح كنت تفعله من قبل . .

لاتقوى على النيل من شعرك أو أظافرك. .

لا تقوى على معاشرة نسائك. .

لا تقوى على لبس المخيط من ثيابك. .

لا تقوى على التطيب بأحسن طيب. .

فكلك لله لا تتصرف في هذا البدن بشيء إلا بـ
أمرك الله به. .

تذكـر عندهـا يـوم تـكـون مسـجّى لا تقـوى علـى
ـراك، ولا تملـك لنفسـك نفعـاً ولا ضـراً، ومَـن حولـك
بك يمنة ويسرى. .

ـرنا كـأموات لففنا جسومنا
بأكفاننــــا كـــلٌ ذليــلٌ لمــــولاه

ل يرى ذل العباد وكسرهـم
فيرحمهـــــم ربٌّ يرجُّـــون رحمـــاه

دونـه لبيك لبيـك ذا العـلا
وسعديك كل الشرك عنك نفينـاه[1]

واحـرص بعـد إحرامـك علـى تنفيـذ وصيـة خـالقك في
له: ﴿ . . . فمن فرض فيهن الحج فـلا رفـث ولا فسـوق ولا
دال في الحـج ومـا تفعلـوا مـن خيـر يعلمـه الله وتـزودوا فـإن
ير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾[2].

) مثير الغرام: ١٨.

) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(والرفث: ذكر الجماع ودواعيه، والجدال: المناقش
والمشادة. . والفسوق: إتيان المعاصي كبرت أم صغرت
والنهي عنها ينتهي إلى ترك كل ما ينافي حالة التحر
والتجرد لله في هذه الفترة، والارتفاع عن دواعي الأرض
والرياضة الروحية على التعلق بالله دون سواه والتأدب
بيته الحرام لمن قصده إليه متجردا حتى من مخيط الثياب

وبعد النهي عن فعل القبيح يحبب إليهم فعل الجميل
﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ، ثم يدعوك للتزود
رحلة الحج، زاد الجسد وزاد الروح. . . ﴿ وتزودوا فإن خ
الزاد التقوى ﴾ فالتقوى زاد للقلوب. . والأرواح منه تقتات
وبه تتقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصو
والنجاة)[1] فهي زادك الحقيقي في هذه الرحلة.

---

(١) في ظلال القرآن ١/١٩٦، ١٩٧.

التلبيــــة

وتلهج الألسـن بذلـك النـداء الخـالـد تـدوي بـه جنبـا
الـكـون وتذكـر معه منّة الله وفضله عليك بأن جعلك أحـ
رواد بيتـه المعظـم، وجعلـك ممـن يلـبي بـهذا الدعـا
استجابة لنداء الخليل إبراهيم عليه السلام.

ومـا أعظمهـا نعمـة، ومـا أعظمـه فضـل أن حبانـا الـ
دون سـائر خلقـه، ونحـن في عـالم الـذَر بـأن أكـرمنـا بتلبيـ
نـدائه.

فقد ورد أن إبراهيم عندما أمره الله بنـداء الخلق لا
يحجـوا بعد أن اكـتمل بناء البيت في قولـه تعـالى: ﴿ وأذن
النـاس بـالحـج يأتوك رجالاً وعلى كل ضـامر يأتين من كـ
فجٍ عميق ﴾[1] وقال: "ألا إن ربكم قد اتخذ بيتـاً وأمركـ
أن تحجـوه، فاسـتجاب لـه مـا سمعـه مـن حجـر أو شـجر
أكـمة أو تراب، لبيك اللهم لبيك".

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٧.

وفي رواية: "فسمعه من بين السماء والأرض، ألا ترى
هم يجيبون من أقصى الأرض يلبون"[1].

(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن
حمد والنعمة لك والملك لاشريك لك).

نداء التوحيد وإخلاص العبودية للواحد الصمد، نداء
فطرة والقلوب الحية، تنطق به الألسن حتى يردد الكون
كله معك.

"ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وعن شماله
ن حجر أوشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها
ا"[2].

فلست وحيداً وإن هجرك الناس، فالكون معك يردد
حيد الخالق، فالكل يسبح بحمده، فكن واثقاً من
بيلك غير متهيبٍ من تساقط المتقاعسين من حولك.

---

(1) شعب الإيمان: ٧/٥٥٦،٥٥٧، عن ابن عباس موقوفاً بسند صحيح، ورواه الحاكم
صححه ووافقه الذهبي.

(2) صحيح الجامع الصغير: ٥٧٧٠.

فالدرب طويل شاق لا يقطعه إلا المشمرون الواثقو
بوعد الله فلبِّ. أخي. كلما صعدت شرفاً أو قابلت رفة
وارفع بها صوتك، فهي وصية جبريل عليه السلام للنبي
وصحابته، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "جاءني جبر
فقال: يا محمد مُرْ أصحابك فليرفعو أصواتهم بالتلبيا
فإنها من شعائر الحج"[1].

ورفع الصوت بالتلبية من أفضل الحج، كما قـ
المصطفى ﷺ : "أفضل الحج، العج والثج"[2].

والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج هو إراقة الدم
بالنحر.

إلى زمزم زمّت ركاب مطيّنا

ونحو الصفا عيس الوفود صففنـ

نؤم مقاماً للخليل معظماً

إليه استبقنا والركاب حثثنا

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٨٣٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٥٠٠.

ـحـن نلبي في صعود ومهبط
كذا حالنا في كل مرقى رقينـاه
كم نشـزٍ عـال علتـه وفودنـا
وتعلـو بـه الأصـوات حـين علونـاه
ـج لبيت حجـه الرسـل قبلنـا
لنشهـد نفعـاً في الكتـاب وُعِدنـاه
عانـا إليـه الله قبـل بنائـه
فقلنـا لـه لبيـك داع أجبنـاه
ـناك، لبيناك، جئناك، ربنا
إليـك هربنـا والأنـام تركنـاه[1]

---

(1) مثير الغرام: ١٩.

دخـول الحـرم

ها أنت الآن تدخل منطقة الأمان والحمى.

ونادى بنـا حادي البشـارة والهنـا

فهذا الحمى هـذا ثـراه غشينـاه

نعـم أنــت الآن في حمــى الله، فكــن مطمئنــا آمنـ

بدخولك منطقة الحرم. ﴿ فمن دخله كان آمنا ﴾[٢].

فهو بمثابة الأمن لكل خائف وليس هذا لمكان آ

في الأرض.

(فعند دخول الحاج منطقة الحرم يكون في منطـ

الأمـان والطمأنينـة الـتي تسـود مشـاعره، فتصفـ

روحه، ويحب غيره، ويصبح الكل يأمن أخاه الآخر لعلـ

أنها (منطقة الأمان يقيمها الله للبشر في زحمة الصراع

إنها الكعبة الحرام، والأشهر الحرام، تقدم في وسـ

---

(١) مثير الغرام: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

مركة المستعرة بين المتخاصمين والمتحاربين والمتصارعين
لمتزاحمين على الحياة بين الأحياء من جميع الأنواع
لأجناس . . بين الرغائب والمطامع والشهوات والضرورات.
حل الطمأنينة محل الخوف، ويحل السلام محل
خصام، وترف أجنحة من الحب والإخاء والأمن والسلام.
درب النفس البشرية في واقعها العملي - لا في عالم المثل
لنظريات - على هذه المشاعر وهذه المعاني، فلا تبقى
جرد كلمات مجنحة ورؤى حالمة، تعز على التحقيق في
قع الحياة)[١].

(وبعد فإنها ليست منطقة الأمان في الزمان والمكان
حدهما، وليس رواق الأمن الذي يشمل الحيوان والإنسان
حدهما، إنما هي كذلك منطقة الأمان في الضمير
بشري، ذلك المصطرع المترامي الأطراف في أغوار النفس
بشرية.

) في ظلال القرآن: ٢/٩٨٢.

هذا المصطرع الذي يثور ويفور فيطغى بشواظه وبدخانه على المكان والزمان وعلى الإنسان والحيوان.

إنها منطقة السلام والسماحة في ذلك المصطرع حتى ليتحرج المحرم أن يمد يديه إلى الطير والحيوان وهما - في غير هذه المنطقة - حل للإنسان، ولكنهما هنا في المثابة الآمنة.. في الفترة الآمنة.. في النفس الآمنة.

إنها منطقة المرانة والتدريب للنفس البشرية لتصفو وترق وترف فتتصل بالملأ الأعلى وتتهيأ للتعامل مع الملأ الأعلى)[1].

---

(١) في ظلال القرآن: ٢/٩٨٣.

رؤيـــة البيــت

ومــا زال وفــد الله يقصـــد مكـــة
إلى أن بدا البيت العتيق وركنــاه
فضجّت ضيوف الله بالذكر والدعا
وكبّـرت الحجــاج حـين رأينـــاه
وقـــد كــادت الأروح تزهــق فرحــة
لما نحن من عظم السرور وجدناه[1]

أحاسيس مفعمة بالصفاء والنقاء والتجليات، وأنت تعاين بيت الله وترقب الطائفين والراكعين والساجدين حول البيت: (وهم يجدون محورهم الذي يشدهم جميعاً إليه، هذه القبلة التي يتوجهون إليها جميعاً، ويلتقون عليها جميعاً، ويجدون رايتهم التي يفيئون إليها، راية العقيدة

(١) مثير الغرام: ٢١.

الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان، ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حيناً، قوة التجمع والتوحد والترابط الذي يضم الملايين)[١].

الكل يجأر بالدعاء، والكل يطلب الخير من مولاه، فلا يسعك إلا الانضمام إلى ركابهم بأن ترفع أكف الضراعة والابتهال إلى الله عسى أن يقبلك مع جموع الطائفين.

وتدعو بدعاء عمر بن الخطاب الذي صح عنه عند رؤيته للبيت: "اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيِّنا ربنا بالسلام"[٢].

(وتستشعر عندها قربك من الله في بيته الحرام، وروحك ترف حول البيت مع الجموع المؤمنة تستروح الذكريات التي تحوم عليه، وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد . .

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٤٢٠.

(٢) انظر مناسك الحج والعمرة للألباني:١٩.

طيف إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يودع البيت فلذة كبده إسماعيل وأمه ويتوجه بقلبه الخافق الواجف إلى ربه : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾[1]

وطيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد في إنابة وخشوع: ﴿. . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾[2]

وتظل هذه الأطياف وتلك الذكريات ترف وتتتابع حتى يلوح طيف سيد المرسلين محمد وهو يدرج في طفولته وصباه فوق هذا الثرى حول هذا البيت . . وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين . . وهو يصلي . . وهو يطوف . . وهو يخطب . . وإن خطواته لتبقى حية في الخاطر، وتتمثل

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢٧،١٢٨.

شاخصة في الضمير، يكاد الحاج هناك يلمحها وهو مستغرق في تلك الذكريات . .)[1]

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٤١٩.

استلام الحجر الأسود

تبدأ في طوافك باستلام الحجر وتتذكر معه أنك تجدد العهد والولاء لله، وتثبت انتماءك لهذه الأمة التي تضع بصماتها على هذا الحجر مؤكدة استسلامها وإيمانها بخالقها.

فما من نبي إلا وقد حج لهذا البيت[١] واستلم هذا الحجر.

---

(١) قد وردت أحاديث تدل على ذلك منها:
عن ابن عباس أن رسول الله مر بوادي الأزرق فقال: "أي واد هذا؟ فقالو: هذا وادي الأزرق، قال: كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً في الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرش فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: ثنية هرش، قال: كأني أنظر يونس بن متّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خُلَبةٌ وهو يلبي" مسلم: كتاب الإيمان، باب ٧٤،حديث (١٦٨) وعن ابن عباس قال: لما مرّ رسول الله بوادي عسفان حين حج قال: " يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يحجون البيت العتيق" رواه أحمدوفيه زمعةِ بن صالح، وفيه كلام، وقد وثق. انظر مجمع الزوائد٣/٢٢٣.

فقد طاف بالبيت إبراهيم وإسماعيل وموسى ويونس وهود وصالح ومحمد وصحابته جميعهم والصالحون من هذه الأمة، وجميعهم استلموا الحجر الأسود وقبّلوه.

فعند استلامك له فأنت أحد هذه القافلة، تثبت انتماءك لها وتجدد ولاءك وحرصك على السير في ركابها.

استشعر وأنت تقبّل الحجر الأسود أنك تلامس موضعاً لمسه النبي ﷺ (١).

---

(١) من المعلوم أن اعتقاد المسلم أن التمسح بالحجر الأسود لا يضر، ولا ينفع، كما ثبت ذلك عن عمر رضي الله عنه عند تقبيله له، والأصل فيه تعبدي، واقتداء بالنبي ﷺ.

ولا يمنع ذلك من استصحاب نية التمسح بما مسه النبي ﷺ، فهذا من آثاره التي لامسها، وقبّله بشفتيه المباركة. وقد صح عن السلف التمسح بمنبره وبمقعده ﷺ، انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧١٩. إلا أن هذه الآثار لم يبق منها شيء، إلا ما كان من الحجر الأسود لذلك نجد الذهبي معلقاً على ما ثبت عن عبيدة بن عمرو السلماني أنه قال في شَعْر النبي ﷺ: (لأن يكون عندي منه شعرةٌ أحب إلي من كل صفراء، وبيضاء على ظهر الأرض). قال الذهبي قلت هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس .. . وقبِّل حجراً مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبَّله سيد البشر بيقين . . . وقد كان ثابت البُناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ

فالحجر الأسود هو الشيء الوحيد المتبقي على هذه البسيطة والذي قد لمسه الحبيب المصطفى وما زال المسلمون جميعهم يقبلونه إلى يومنا هذا.

فهنيئا لك بملامستك ما لمسه الحبيب المصطفى ﷺ ولسان حالك يقول وأنت تقبله:

الحجر الأسود قبلته
بشفتي قلبي وكلي وله
لا لاعتقادي أنه نافع
بل لهيامي بالذي قبله
محمد أطهر أنفاسه
كانت على صفحته مرسلة
قبله، والنور من ثغره
يشرق آيات هدى منزلة

يده فقبلها ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك : حجر معظم بمنزلة يمين الله في الأرض مسته شفتا نبينا ﷺ لاثما له.) سير أعلام النبلاء: ٤/٤٢، ٤٣.

قبلــت مـا قبلـــه ثغـــره

النـــاطق بـــالوحي ابتغـــاء الصلــة[١]

وعنــد اســتلامك للحجــر استشــعر تحــاتت الذنــوب وتساقط الخطايا، لقوله عليه السلام:

"إن مســح الحجــر الأســود والركــن اليمــاني يحطــان الخطايا حطا"[٢].

وكــن متيقنــا أنــه سيشــهد لــك عنــد اســتلامك لــه بإخلاص وصدق: "ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق"[٣].

وبـالحجر الميمــون عجنــا فإنــه

لـرب السمـا والأرض للخلـق يمنـاه[٤]

---

(١) نجاوى محمدية: ٢١.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٢١٩٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٥٣٤٦.

(٤) ويروى حديث مرفوع ولا يثبت أن الركن يمين الله في الأرض. انظر مجمع الزوائـــد: ٣/٢٤٥، وانظر الفتاوى: ٦/٣٩٧، والصحيح أنه موقوف على ابن عباس من قولـــه: (إن

نقبلــه مــن حبنــا لإلهنــا
وكـم لثمــة طــي الطـواف لثمنـاه

وذاك لنـا يـوم القيامـة شـاهد
وفيــه لنــا لله عــهد عــهدناه
ونستلم الركن اليماني طاعة
ونسـتغفر المـولى إذا مـا لمسـناه[1]

وكـــم يغمـــرك مـــن الفـــرح والســـرور والغبطـــة وانشـــراح الصـدر لكونــك قـد لمسـت شـيئا مــن الجنـة، فهذا فـأل خـير أن تـكـون مـن أهلـها إن شـاء الله.

فـها أنـت تقبـل شـيئا قـد قـدم منـها، وغـدا تقـدم أنـت عليـها بـإذن الله.

هذا الركن يمين الله في الأرض. .) سنده حسن. انظر المطالب العالية١/٣٤٠ رقـم١١٤٧، وأخبار مكة، للفاكهي: ٨٩/١، وفتاوى ابن تيمية: ٣٩٧/٦.

(١) مثير الغرام: ٣٢.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب"[1].

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٦٣٣.

الطــــواف

وهـا أنـت الآن تلـوذ ببيـت الملـك الجبـار، هـا أنـت الآن تطـوف ببيـت الحـي القيـوم، فمـن مثلـك تقـدم علـى بيـت مـولاك فـلا تجـد حُجّابـاً يحولـون بينـك وبينـه، تجـأر بالدعـاء وأنـت تحـوم حـول البيـت تـروم مـن فضلـه العميـم.

نطوف به والله يحصي طوافنا
ليسـقط عنا ما نسينـا وأحصـاه[(١)]

وسالت دموع من غمام جفوننا
على ما مضى من إثم ذنب كسبناه

ونحن ضيوف الله جئنا لبيتـه
نـريد القِرَى نبغي من الله حسنـاه[(٢)]

---

(١) مثير الغرام: ٣٢.

(٢) مثير الغرام: ٢١.

واستشعر وأنت تطوف ما أعد الله لك من الأجر فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: "من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة"[1].

واستشعر رحمة الله وهي تغمرك مع جموع الطائفين، وكأنك تسمع نداء الله:

فنادى بنا أهلا ضيوفي تباشروا
وقروا عيونا فالحجيج قبلناه
غدا تنظروني في جنان خلودكم
وذاك قراكم مع نعيم دخرناه
وكل مسيء قد أقلنا عثاره
ولا وزر إلا وعنكم قد وضعناه

(١) صحيح الجامع الصغير: ٦٧٨٠.

فطيبوا سرورا وافرحوا وتباشروا

وتيهوا وهيموا بابنا قد فتحناه[(١)]

وفي الطواف.. (إشعار بالوحدة الإسلامية واستمساك بالرابطة المحمدية، فالمسلمون في حالة البعد يتوجهون في صلاتهم إلى هذا البيت الحرام، وفي حالة القرب والوصول يطوفون حوله يعوذون برب هذا البيت، ويلتفون حول ركنه المنيع، القائم في الإسلام مقام الراية في الحرب.

ولسان حالهم يقول: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[(٢)].

---

(١) مثير الغرام: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان١٠٣، ١٠٤.

وما أجمل وأبهى منظر الطائفين حول البيت الحرام وهم يهللون ويكبرون ويدعون ربهم بنية خالصة وقلب خاشع، فإنهم والحالة هذه يشبهون الملائكة الذين يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم. .)[1].

وبعد إتمام الطواف تصلى ركعتين خلف المقام لها من الأجر ما ليس لبقعة إلا في هذا المكان، كما قال المصطفى ﷺ : "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه"[2].

ثم سن لك الحبيب أن تشرب من ضيافة الرحمن ما تطهر به قلبك ونفسك على ما تنوي شربه كان لك: "ماء زمزم لما شرب له"[3] . . "إنها مباركة، هي طعام طعم، وشفاء سقم"[4].

---

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: ٢/٢٩٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٣٨٣٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٥٥٠٢.

(٤) صحيح الجامع الصغير: ٢٤٣٥.

السعـــي

ثم ذهابك للصفا يعيد لك (طيف هاجر وهـي تستروِ
من الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة الملتهبة حوا
البيـت، وهـي تـهرول بـين الصفـا والمـروة، وقـد نهكـه
العطش، وهدها الجهد، وأضناها الإشفاق على الطفل
ثم ترجع في الجولة السابعة، وقد حطمها اليأس لتجد النبـ
يتدفق بين يدي الرضيع)[١].

وفي فعل هـذه المـرأة الضعيفة دليل واضح علـى عـد
اليـأس والجد والأخذ بالأسباب، وهـي سـنة ربانيـة سـاقه
الله لنا في القرآن في آيات عديدة، وسار على نهجها الرسـ
والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فما منهم إلا وقد أخـ
حظـه من الأسباب بعد الاطمئنان لمسببها وعدم الاتكـا
عليها.

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٤١٩.

وهـاجر قـدوة للنسـاء مـن بعدهـا ، فـهذه مريـم بنـت
مران مع ما ابتلاها الله بـه مـن تعـب ومشـقة عنـد ولادتـها
مرها بهز جذع النخلة ، ليتساقط عليها رطبا جنيا ، ومـاذا
معل هـز امـرأة في وقـت الوضـع في هـذه النخلـة الباسـقة
ضاربـة جذورهـا في بـاطن الأرض إلا إظـهار سـنة كونيـة ،
ي الأخذ بالأسباب في جميع الأحوال والظروف.

وهكذا سار الصالحون من بعد على هذا المنوال.

ولا تنس وأنت تسعى ذلك الأجر العظيم الذي قد رتبه
سول الله ﷺ على فعلك السعي فقد جعل أجرك أجـر عتق
بعين رقبة[1] .

) ورد في حديث طويل: "وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة" رواه
ار ورجاله ثقات. مجمع الزوائد:٣/٢٧٨.

الوقوف بعرفة

فإذا كان يوم التاسع هرع الناس إلى عرفات. .
عرفات يوم الموقف "الحج عرفة"[1] . . فيه تتجلى صو
العبودية الحقة، الكل يضرع إلى الله، الكل يجأ
مستجيرا بالله، والجميع على صعيد واحد، بزي واحد
لهدف واحد، إلى رب واحد.

يا لها من ساعات عظيمة في ذلك الموقف المهيب
يتذكر يوم الحشر وعظمته وأهواله، وهؤلاء الناس قـ
تجمعت حشودهم تحت أشعة الشمس المحرقة، رافعي
الأكف، خاضعين لله، تذرف منهم الأعين، وتلهج الألسـ
بصوت واحد:

((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ولـ
الحمد، وهو على كل شيء قدير)).

---

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٨٦٧.

كم حامد كم ذاكر ومسبح

وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه

كم خاضع كم خاشع متذلل

وكم سائل مدت إلى الله كفاه[1]

وهم كذلك إذ يطلع رب العزة والجلال على عباده:
يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول: هؤلاء عبادي
اؤوني شعثا غبرا"[2].

اجتهد وثابر لتكون من العتقاء في هذا اليوم ف "ما
ن يوم يعتق الله أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبدا
ن النار من يوم عرفة. ."[3].

فلتسعد وليغمرك الفرح والسرور، لعل هذا يزيدك
وقا لإكمال النسك.

) مثير الغرام: ٢٥.

) صحيح الجامع الصغير: ١٨٦٧.

) رواه مسلم.

ولما رأى تلك الدموع التي جرت
وطول خشوع مع خضوع خضعنا
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى
وباهى بنا الأملاك حين وقفنا
وقال انظروا شعثا وغبرا جسومهم
أجرنا أغثنا يا إلهنا دعوناه
ألا فاشهدوا أني غفرت ذنوبهم
ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخناه[1]

وفي هذا اليوم الأغر تتجلى لنا صور عدة لمعاذ
مختلفة . .

(تتجلى السواسية بين أفراد هذا المجتمع، فالحج ه
مؤتمر المسلمين الجامع الذي يتلاقون فيه مجردين من ك
آصرة سوى آصرة الإسلام، متجردين من كل سمة إ
سمة الإسلام، عرايا من كل شيء إلا من ثوب غير مخيـ

---

(١) مثير الغرام: ٢٥.

ستر العورة، ولا يميز فرداً عن فرد ولا قبيلة عن قبيلة ولا
نساً عن جنس . .

إن عقيدة الإسلام هي وحدها العقيدة، ونسب
لإسلام هو وحده النسب، وصبغة الإسلام هي وحدها
صبغة)[1].

(وتتجلى صورة المنافع التي يشهدها الحجيج، فالحج
وسم ومؤتمر، الحج موسم تجارة وموسم عبادة، والحج
ؤتمر اجتماع وتعارف ومؤتمر تنسيق وتعاون، وهو
فريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها
كريات العقيدة البعيدة والقريبة . . . أصحاب السلع
حدون في موسم الحج سوقاً رائجة تجبى إلى البلد الحرام
رات كل شيء)[2].

(وهو مع كونه عملاً تجارياً إلا أن الله يربطه
لعبادة فيقول: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من

) في ظلال القرآن: ١/٢٠٠.

) في ظلال القرآن: ٢/٢٤١٨.

ربكم﴾[١] ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله حي
يتجر وحين يعمل بأجر وحين يطلب أسباب الرزق . . إنه
يرزق نفسه بعمله إنما يطلب من فضل الله، فيعطيه الله
فهو إذن في حالة عبادة لله، لا تتنافى مع عبادة الحج
الاتجاه إلى الله)[٢].

(١) سورة البقرة: الآية١٩٨.

(٢) في ظلال القرآن: ١/١٩٨.

النفرة للمزدلفة

أذن الله لعباده عند استحكام غروب الشمس بالنفرة للمزدلفة، منطلقين ترف عليهم السكينة وتغمرهم الرحمة، وهم يسيرون بوقار وتؤدة قد قض يومهم بين يدي خالقهم في عرفات الخير، منهم التا لكتاب الله والقائم يدعو مولاه، والدموع قد سكبت والقلوب قد أشربت خوفا، ووجلا وها هم الآن منطلق للمزدلفة وحال لسانهم يقول: ﴿ وعجلت إليك ر لترضى ﴾[1].

إنها لساعات مفعمة بالمشاعر والأحاسيس التي يعج الواصفون عن وصفها، هذه الجموع تسير كالنهر الجارف لا تكاد تجد موضع قدم تخطوه بينها، إنه لمشهد مهي يبعث في النفس الهيبة والوجل، والتذلل والخضو والانقياد والتسليم.

---

(١) سورة طه: الآية ٨٤.

كل هذه الجموع ستأوي هذه الليلة إلى أرض فضاء
تحفون فيها السماء ويفترشون التراب، ياله من موقف
هتز له المشاعر ويوقظ أكثر النفوس كثافة، فمن كان
ام على الفراش الوثير والديباج والحرير، اليوم انظر إلى
ا يتوسد وبماذا يلتحف، ستلتصق أجسادهم بالأرض التي
تحضنهم في يوم ما، إنها لعبرة لمن يعتبر.

فإذا أصبح الصباح ووقفت عند المشعر الحرام متذللا
اضعا رافعا أكف الضراعة تذكر عند ذلك قول
نبي ﷺ : "إن الله تطاول عليكم في جمعكم هذا فوهب
سيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا
سم الله"[1].

---

(1) صحيح الجامع الصغير: ١٧٣٤.

رمــي الجمــار

وأول عمـل تقـوم بـه عنـد قدومـك لمنــى رمــي جمـر
العقبة.

ولســان حــالك يقـول: اسـتجبت لربـي وخضعـت لـه
وتجردت من الدنيا وتبت له، وأمرني ربي بمجانبتك والحذ
منـك، وأن أنخلـع عــن مودتــك وطــاعتك، وأن أعــاديا
وأحــاربك، وهــا أنــا ذا أعلنـها، اللّه أكـبر اللّه أكـبر الا
أكبر. الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون.

ففي هذا المقام (يرنو لنـا طيـف إبراهيم عليه السـلا
وهو يرى الرؤيا فلا يتردد في التضحية بفلذة كبده ويمضـ
في الطاعة المؤمنة إلى ذلك الأفق البعيد: ﴿ قـال يـا بـني إنـ
أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فتجيبه الطاع
الراضية في إسماعيل عليه السـلام: ﴿ قـال يـا أبـت افعـل م
تؤمر ستجدني إن شاء اللّه من الصابرين ﴾)[1].

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٤١٩.

فليس لي رأي أو نظر بعد أمر الله وحكمه.

فانطلق الخليل ليتم أمر ربه فاعترضه الشيطان ليثنيه ـن ذلك مرةً واثنتين وثلاثة، وكان إبراهيم يرجمه لحجارة في كل مرة[1]: اخسأ يا عدو الله فلن تجاوز درك لن أكون عبداً لك ولا لأوامرك فأنا عبد لله مطيع ربي مهما بلغ من عظم هذا التكليف...

(وإذ رحمة الله تتجلى في النداء: ﴿ وناديناه أن يا راهيم. قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن ذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم ﴾..)[2].

وما رميك للجمار إلا تجسيد لتلك المواقف الإيمانية، نراها واضحة المعالم فنسير على هداها ونستقي من عينها ما نصارع به عدونا إبليس، فنستحق عندها أن

---

(1) شعب الإيمان: ٢٢١٨ ومجمع الزوائد: ٣/٢٦٢ رواه الطبراني وأحمد ورجاله ثقات عن ن عباس موقوفاً.

(2) في ظلال القرآن: ٤/٢٤١٩.

يكفر الله عنا كبيرة من الكبائر بكل حصى نرجـ
الشيطان بها.

قال عليه الصلاة والسلام: "وأما رميك الجمار فلل
بكل حصة رميتها كبيرة من الموبقات"[1].

(١) مجمع الزوائد: ٣/٢٧٧، رواه البزار ورجاله موثوقون.

النحـــر

وهـا أنـت الآن تتجـه للمنحـر لأداء شـكـر الله علـى م
هـداك لهـذا ووفقـك لإتمـام نسـكك، تتقـرب إليـه بإراق
الدماء تعظيما لشعائره واقتـداء بأنبيائـه: ﴿ذلـك ومـن يعظ
شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾[١].

(فقـد ربـط الله بـين الهدي الـذي ينحـره الحـاج وتقو
القلـوب، إذ أن التقـوى هـي الغايـة مـن مناسـك الحـ
وشعائره، وهذه المناسك والشعائر إن هـي إلا رمـوز تعبيري
عن التوجه إلى رب البيت وطاعته.

وقـد تحمـل في طياتـها ذكريـات قديمـة مـن عـه
إبراهيـم عليـه السـلام ومـا تـلاه وهـي ذكريـات الطاعـ
والإنابة والتوجه إلى الله منذ نشأة هذه الأمة المسلمة، فهـ
والدعاء والصلاة سواء.

---

(١) سورة الحج: الآية٣٢.

وقد كان المسلمون على عهد النبي ﷺ يغالون في
هدي يختارون سمينا غالي الثمن يعلنون بها عن تعظيمهم
شعائر الله مدفوعين بتقوى الله.

هذه الذبائح يذكر القرآن الكريم أنها شعيرة
معروفة في شتى الأمم، إنما يوجهها الإسلام وجهتها
الصحيحة حيث يتوجه بها إلى الله وحده دون سواه :
﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما
رزقهم من بهيمة الأنعام﴾[1].

والإسلام يوحد المشاعر والاتجاهات ويتوجه بها
كلها إلى الله، ومن ثم يعنى بتوجه الشعور والعمل
والنشاط والعبادة والحركة والعادة، إلى تلك الوجهة
الواحدة، وبذلك تصطبغ الحياة كلها بصبغة العقيدة.

(١) سورة الحج: الآية٣٤.

وهم حين يؤمرون بنحرها باسم الله: ﴿ لن ينال اللّ
لحومها ولا دماؤها ﴾ فإن اللحوم والدماء لا تصل إلى اللّ
سبحانه، إنما تصل إليه تقوى القلوب وتوجهاتها)[١].

وقد نحر المصطفى ﷺ مائة بدنة، نحر بيديـ
الشريفتين ثلاثاً وستين بدنة وأكمل علي رضي الله عنه م
تبقى منها، وهكذا كان الصحابة يتنافسون في تقديـ
الهدي، لعلمهم ما فيه من الأجر، لقوله ﷺ : "وأما نحرك
فمدخور لك عند ربك"[٢].

---

(١) في ظلال القرآن : ٤/٢٤٢٢،٢٤٢٣.

(٢) مجمع الزوائد: ٣/٢٧٧ ورجاله موثوقون.

الحلق والتقصير

وبعد ذلك سن لك الحبيب المصطفى إظهار صد
توجهك لخالقك بأن تظهر تذللك وخضوعك بحلق رأسك
فدعا المصطفى ﷺ لك عند ذلك بالمغفرة: "اللهم اغف
للمحلقين، اللهم اغفر للمحلقين، اللهم اغفر للمحلقين"[١]
وكفى شرفا أن تنالك دعوته عليه الصلاة والسلام.
وليس ذلك فحسب بل لك بكل شعرة حلقتها حسنة كم
قال ﷺ : : فلك بكل شعرة حلقتها حسنة وتمحي عنك بر
خطيئة"[٢].

وحلقك رأسك يبعث في النفس شعورا بحلول مغفر
الله عليك، فقد تحاتت الذنوب وتساقطت من عل
كاهلك كما تساقط هذا الشعر من على رأسك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) مجمع الزوائد ٣/٢٧٧ ورجاله موثقون.

فـهي عـلامـة حسـية كلمـا عاينتـها تذكـرت معـها
ـغفـرة الله لـك فـلا تلـوث نفسـك بشـيء مـن المعـاصـي بعـد
ـك.

وقـد حـل لـك كـل شـيء بعـد ذلـك وعـدت إلى مزاولـة
ـؤون الحيـاة الـتي قد منعت عنها قبل أيام.

هـا أنـت تتطيـب وتلبـس الفـاخر مـن الثيـاب، ومنعـت
ـط مـن إتيـان النسـاء حتـى تعـود لبيـت الله فتـؤدي طـواف
ـشكـر والامتنان على ما حباك من نعم ترفل فيها.

طواف الإفاضة

وقد قال المصطفى ﷺ: "وأما طوافك بالبيت بعد ذلك - أي بعد أداء المناسك جميعها - فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى"[1].

هنيئًا لك ومن مثلك اليوم خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك.

---

(١) مجمع الزوائد: ٣/٢٧٧ ورجاله موثقون.

أيام التشريق

قال تعالى: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اللّ
كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً، فمن الناس من يقوا
ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم م
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار. أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فا
إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الل
واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾[1]

تلهج الألسن بذكر الله استجابة لأمر الله، وبع
كثرة الذكر أرشدنا سبحانه لدعائه فإنه مظنة الإجابة
وذم سبحانه من لا يسأله سوى الدنيا، فاحذر أن يكو
همك وحسب جمع المال وكثرة الأولاد وراحة البال، ب
ضم معها نصيبك من الآخرة فادعُ الله أن يؤتيك في الدني

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٢٠٠ ــ ٢٠٣.

سنة وفي الآخرة حسنة وأن يقيك عذاب النار، هكذا
ون تحديد لنوعٍ الحسنة بل دع اختيارها لله، والله يختار
ك مايراه حسناً.

وما عليك سوى الرضى والتسليم، كما سلّمت أمرك
كله لله من قبل عند خروجك من بيتك ملبياً بالحج فلم
ثك مال ولا ولد، بل مضيت قدماً ترجو رحمة الله وتروم
ن فضله العميم.

وأنت الآن في ختام حجك قد سلمت أمر دعائك
ارئك، وعندها سيكون لك نصيب مضمون لا يبطئ
نك، فالله سريع الحساب ﴿ أولئك لهم نصيب مما
كسبوا والله سريع الحساب ﴾.

(إن هذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه،
يقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره، وترك لله
خيرة، ورضي بما يختاره له الله فلن تفوته حسنات الدنيا
لا حسنات الآخرة، ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في
لآخرة كل نصيب.

والأول ربح حتى بالحساب الظاهر، وهو في ميزا
الله أربح وأرجح وقد تضمن دعاؤه خير الدارين في اعتدال
وفي استقامة على التصور الهادئ المتزن الذي ينشئ
الإسلام)[1].

لذلك كان أكثر دعاء النبي ﷺ : "اللهم ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[2] ليكن
هذا الدعاء ديدنك ودأبك دائماً وأبداً في كل وقت وحين.

ثم تنتهي أيام الحج وشعائره ومناسكه، بالتوجيه
إلى ذكر الله في الأيام المعلومات: ﴿ واذكروا الله في أيا
معدودات ﴾ فلا تضيع هذه الأيام في سفاسف الأمو
وتوافهها، فقد كنت قبل قليل في عرفات قد أظهرت
الحاجة والتذلل لمولاك وهو الآن يريد أن يعرفك بنفسك
هل أنت مقيم على العهد الذي أبرمته وألزمت نفسك به، أ

---

(١) في ظلال القرآن: ١/٢٠٨.

(٢) متفق عليه.

ستتصل منه سريعاً في هذه الأيام المعدودات، فتمم الأمر
الخير يتمم الله لك بالخير.

وأيضاً إن مقامك بمنى في أيام ضيافة الرحمن في
لأكل والشرب وإظهار الفرح والبشر والسرور، إنما هو
عبير عن الفرحة بما أسبغ الله عليك من نعمة في يوم عرفة.

لذلك نُهي عن صوم هذه الأيام فهي أيام أكل وشرب
ذكر لله كما قال ﷺ : "أيام التشريق أيام أكل وشرب
ذكر لله"[1].

ويتجلى التعبير عن الفرح في صورة الإكثار من ذكر
الله.

فهذه هي الصورة الحقيقية للتعبير عن الفرح لدينا
نحن المسلمون. فلا طغيان ونسيان لفضل الله وقت الفرح
السرور، بل يأنس الجميع بذكر الله ويبتهجون به،
كان شعار إعلان الفرح بالعيدين هو التكبير، الله
كبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد،

---

(١) رواه مسلم.

وأي فرحة تغمر المؤمن عندما يسمع ذكر الله يدوي ـ
الآفاق، كما كان السلف رضوان الله عليهم يكبرو
حتى ترتج منى من تكبيرهم.

فهذا عمر بن الخطاب كان يكبّر في قبّته بمنـ
فيسمعه أهل المسجد فيكبّرون ويكبّر أهل الأسواق حتـ
ترتج منى تكبيراً[1].

وما إقامة المناسك كلها إلا لإقامة ذكر الله كمـ
قال ﷺ : "إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفـ
والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل"[2].

وكما أن ذكر الله يتجلى في ذكر اللسان فهو مـ
الأفعال يظهر جلياً عند لقاء المؤمنين من كل حدد
وصوب، يلتقون في هذه الأيام المباركات يتعارفون فيمـ
بينهم، ويزدادون علماً إلى علمهم وخبرات من بعضهـ
البعض، وهكذا كان الصالحون من قبل ينتظرون هذ

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ووصله الحافظ ابن حجر في الفتح: ٢/٤٦١.

(٢) رواه أحمد: ٦/٦٤ وسنده ضعيف.

الأيام للالتقاء بالعلماء الذين يفدون من جميع أقطار المعمورة إلى تلك الديار المقدسة.

ثم أخيراً احرص على إتمام عدة هذه الأيام في ضيافة الرحمن، فلا تكن من المتعجلين، وكن ممن اتقى، وإن تعجلت فلا حرج عليك، وكل من تعجل أو تأخر عليهم تقوى الله إن رجعوا إلى أوطانهم، وليحرصوا على البقاء على ما كانوا عليه من حسن الصلة بخالقهم، فإنهم لا محالة يحشرون إلى الله ﴿ واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾.

طواف الوداع

خفقت القلوب ودمعت العيون لمفارقة بيت الله، وقا

قائلهم:

تداعت رفاق بالرحيل فما ترى
سوى دمع عين بالدماء مزجناه

لفرقة بيت الله والحجر الذي
لأجلها صعب الأمور سلكنا

وودعت الحجاج بيت إلهها
وكلهم تجري من الحزن عينا

فلله كم باكٍ وصاحب حسرة
يود بأن الله كان توفاه

فلو تشهد التوديع يوماً لبيته
فإن فراق البيت مُرٌّ وجدناه

فما فرقة الأولاد والله إنه
أمَرُّ وأدهى ذاك شيء خبرناه

من لم يجرب ليس يعرف قدره
فجرب تجد تصديق ما ذكرناه

ـد صَدَعَت أكبادُنا وقلوبنا
لما نحن من مُرِّ الفراق شربناه

للّه لولا أن نؤملَ عودةً
إليه لذقنا الموت حين فُجعناه[1]

) مثير الغرام: ٣٤، ٣٥.

الحج والجهاد

لابد لهذا النسك الذي تبرز فيه معالم هذا الدي
واضحة جلية من ضمان يكفل له بقاءه، واستمراريته.

ولابد من حصانة تضمن أمن وسلامة وفود الله
وزوار بيته، فكان الجهاد هو الدرع الحصين الذي تستظ
تحته شعائر هذا الدين جميعاً، وتأمن فيه، وتؤدي دوره
الذي أنيط بها.

وقد ربط سبحانه وتعالى بين مناسك الحج، والجها
في سبيل الله في معرض الآيات التي ذكرت الحج.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هـ
مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت مـ
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقو
الله لعلكم تفلحون. وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونك
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيـ
ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشـ

ن القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
يه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين. فإن
تهوا فلا عدوان إلا على الظالمين. الشهر الحرام بالشهر
حرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
ليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع
تقين. وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى
تهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. وأتموا الحج
لعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا
وسكم حتى يبلغ الهدي محله . . . ﴾[1].

قدم سبحانه لذكر الحج بقوله: ﴿ليس البر . . .﴾
جعل ذكر الجهاد كالجملة المعترضة قبل إتمام الحديث
ن الحج، ثم عاد السياق لذكر الحج ومناسكه . . .

وأيضاً في سورة الحج بعد أن ذكر الله الحج وأموره
ال سبحانه: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٩، ١٩٦.

يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإ
الله على نصرهم لقدير . . . ﴾[1]

فكل ذلك يذكرنا بالجهاد وحتمية تلاحم المسلم
ليكونو صفاً واحداً أمام الأعداء كما كانو صفاً واحـ
أمام خالقهم وبارئهم.

فالحج مؤتمر للتشاور والتخطيط والتنظيم لأمـ
الإسلام لإعادة بعثها من جديد ، فالكل يلتقي على صعيـ
واحد ، لهدف واحد.

(١) سورة الحج: الآيات٣٨ ،٣٩.

الفهـرس

وضـــوع	الصفحة